العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢٠)

الموعظة
في نهج البلاغة

إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

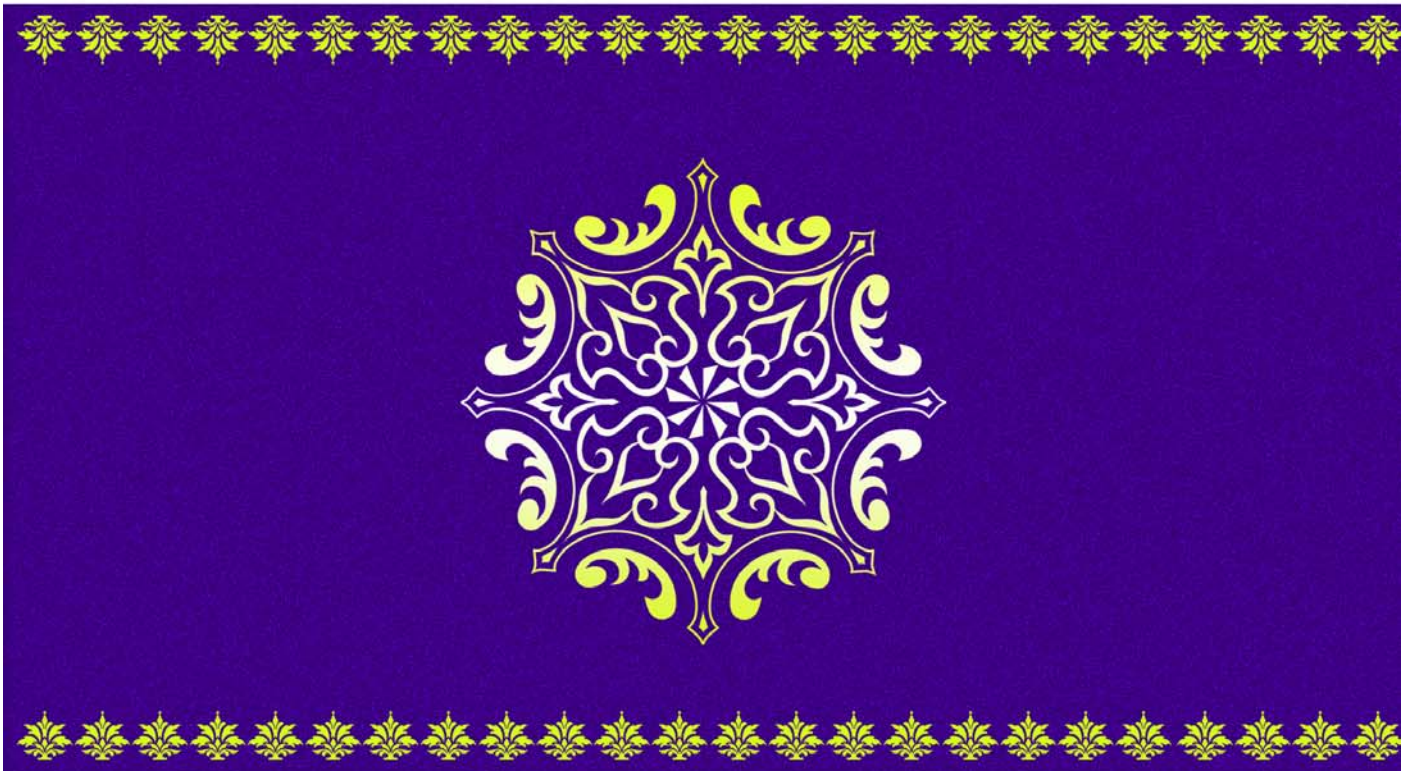

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٢٠

الموعظة
في نهج البلاغة

إعداد
مكتبة الروضة الحيدرية

الموعظة في نهج البلاغة

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

■ إخراج فني : زينب جواد

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة : ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الموعظة والنصيحة والإنذار والتذكير وإن اختلفت من حيث المعنى اللغوي، لكنّ ثمرتها ومؤدّاها واحد، وهو نداء وحثّ روحاني يعلو بالإنسان نحو الكمال، ويدعوه إلى ترك ما عليه من سوء وغفلة، وعدم الخروج عن الغاية والهدف من الخلقة.

لذا نرى هذه الألفاظ وما يؤدّي مؤدّاها وردت كثيراً في القرآن الكريم والسنة الشريفة وروايات المعصومين عليهم السلام، وأقوال العلماء، حتى جعل التذكير أحد أسباب بعثة الأنبياء والرسل، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «واصطفى سبحانه من ولده [أي ولد آدم عليه السلام] أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول..» الخطبة: ١.

ولأهمية الموعظة في تقويم سلوك الإنسان، ولامتياز كتاب (نهج البلاغة) بمواعظ شافية ونصائح كافية لطلاب الحق والحقيقة، خصّصنا هذه الحلقة من (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) بما يخصّ المواعظ الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب الشريف، عسى أن يكون نافعاً، إن شاء الله تعالى.

ورتبنا البحث ضمن النقاط التالية:

ـ ١ ـ

أهمية الموعظة

لأهمية الموعظة في حياة الإنسان، أمر الله تعالى نبيّه بأن تكون دعوته مقترنة بالموعظة الحسنة، فقال عزّوجلّ: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ النحل: ١٢٥.

وكان الله تعالى هو أول واعظ للإنسان كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته، ووعظكم برسالته**» الخطبة: ١٩٨.

وقال عليه السلام: «**انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله، وأقبلوا نصيحة الله، فإنّ الله تعالى قد أعذر إليكم بالجلية، واتخذ عليكم الحجة، وبيّن لكم محابه من الأعمال ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه**» الخطبة: ١٧٦.

ولأهميتها أيضاً أوصى عليه السلام الإمام الحسن وقال له: «**أحي قلبك بالموعظة**» بل لم يكتف بذلك وأمره أن يتعدّى بالموعظة ـ بعد موعظة نفسه ـ إلى غيره فقال له: «**وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة**» الكتاب: ٣١.

وكان عليه السلام يدعو المجتمع الإسلامي أن يعيش حالة التناصح

فيما بينهم، فكان يقول عليه السلام: «**لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا يحبون النصح**»[1] وقال عليه السلام: «**من أحسن الدين النصح**»[2].

كما كان عليه السلام يدعو إلى الانتفاع بالمواعظ والأخذ بها ويقول: «**فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع، واعتبروا بالآي السواطع، وازدجروا بالنذر البوالغ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ**» الخطبة: ٨٤، وبنفس السياق: «**فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير، وانتفعوا بالنذر**» الخطبة: ١٥٧، وقال عليه السلام أيضاً: «**ألا انّ أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله**» الخطبة: ١٠٤.

هذا مع الاحتفاظ بنقد الحالة السائدة آنذاك من عدم التناصح وعدم قبول المواعظ، كما قال عليه السلام: «**إنّما أنتم إخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلّا خبث السرائر، وسوء الضمائر، فلا توازرون، ولا تناصحون، ولا تباذلون، ولا توادّون**» الخطبة: ١١٢.

***

(١) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٤٥٥٧.

(٢) م ن: ٤٥٥٣.

- ٢ -

ثمرة الموعظة

من أهمّ ثمرات الموعظة إصلاح النفس أولاً، ثم إصلاح المجتمع ثانياً، إذ انّ النفس إذا صلحت انعكس هذا الصلاح على سلوك الإنسان وبه تذهب كثير من المظاهر السيّئة عن الحياة الاجتماعية، وينتج منها السعادة المنشودة في النظم الاجتماعية والسياسية.

وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**المواعظ حياة القلوب**»[١]، وقال عليه السلام: «**المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب**»[٢]، وقال عليه السلام: «**المواعظ شفاء لمن عمل بها**»[٣].

وقال عليه السلام: «**بالمواعظ تنجلي الغفلة**»[٤]، وقال عليه السلام: «**ثمرة المواعظ الانتباه**»[٥]، وقال عليه السلام: «**من قبل النصيحة أمن من**

---

(١) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٤٥٢٣.

(٢) م ن: ٤٥٢٤.

(٣) م ن: ٤٥٢٨.

(٤) م ن: ٤٥٣٠.

(٥) م ن: ٤٥٣١.

الفضيحة»[1] وقال عليه السلام: «من أقبل على النصيح أعرض عن القبيح»[2]، كما انّ «النصيحة تثمر الود»[3].

***

(١) م ن: ٤٥٧٩.

(٢) م ن: ٤٥٨٠.

(٣) م ن: ٥٤٨.

ـ٣ـ

شرائط الواعظ

لابدّ للواعظ أن يتحلّى بأمور تؤهّله لتصدي منصب الوعظ والإرشاد، ليتمّ قبول قوله والإذعان إلى إرشاده، ومن تلك الشرائط والآداب:

١ـ القول الحسن والرفق في القول، كما قال تعالى لموسى عليه السلام حينما أمره بإنذار فرعون: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى**﴾ طه: ٤٤.

وكما قال تعالى لنبيه الرسول الأمين صلى الله عليه وآله: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ النحل: ١٢٥.

فاستجاب الرسول صلى الله عليه وآله لذلك، كما شهد له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**فبالغ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة**» الخطبة: ٩٤.

٢ـ الاتعاظ، وإلّا كيف يعظ غيره من لا يتعظ، ولذا كان يقول أمير المؤمنين عن نفسه الشريفة: «**أيّها الناس، إنّي والله ما أحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها**» الخطبة: ١٧٥.

وكان عليه السلام يأمر باتباع المتعظ من الناس والاستماع إليه، لكثرة الدغل والغش الذي ابتليت الأمة به آنذاك، فكان يقول عليه السلام: «**أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفو عين قد روّقت من الكدر**» الخطبة: ١٠٤.

وكان يقول عليه السلام: «**كيف ينصح غيره من يغشّ نفسه**»(١).

٣ـ أن يدعو الناس بفعله قبل قوله، قال عليه السلام: «**انّ الوعظ الذي لا يمجّه سمع، ولا يعدله نفع، ما سكت عنه لسان القول، ونطق به لسان الفعل**»(٢).

ولذا كانت هذه المهمة ملقاة في الدرجة الأولى على عاتق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، لينذروا الناس بقولهم وفعلهم، كما قال عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية**» الخطبة: ١٦١.

وقال عليه السلام أيضاً: «**فصدع بالحق، ونصح للخلق، وهدى إلى الرشد، وأمر بالقصد**» الخطبة: ١٩٥.

وكما قال عليه السلام عن نفسه الشريفة: «**أيها الناس إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى مَنْ بعدهم**» الخطبة: ١٨٢.

---

(١) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٤٥٦٣.

(٢) م. ن: ٤٥٦٠.

وقال عليه السلام: «**انّه ليس على الإمام إلّا ما حُمّل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة**» الخطبة: ١٠٤.

وقريب منه قوله عليه السلام: «**أيها الناس انّ لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأمّا حقكم عليّ فالنصيحة لكم...**» الخطبة: ٣٤.

ثم من بعد الأنبياء والأوصياء، يأتي دور العلماء الربانيين، كما قال عليه السلام في وصف اهتمامهم بهذا الأمر: «**قد وعظوا حتى ملّوا**» الخطبة: ٣٢.

ثم يأتي دور باقي الناس حيث يتبلور ذلك في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو من باب أخذ الحكمة ولو من المنافق أو الكافر، إذ كما قال عليه السلام: «**ربما نصح غير الناصح**» الكتاب: ٣١.

***

ـ ٤ ـ

أسباب قبول الموعظة

لقبول الموعظة والاستماع إليها وامتثالها مقدمات نفسية، لولاها لم تثمر المواعظ ولم تنتج، فكم من سمع المواعظ البليغة وأعرض عنها، أولئك هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ**﴾ الأعراف: ١٧٩.

وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عدّة أمور تسبب قبول الموعظة، وهي:

١ـ العقل، قال عليه السلام: «**فإنّ الغاية القيامة، وكفى بذلك واعظاً لمن عقل**» الخطبة: ١٩٠، وفي وصيته للإمام الحسن عليهما السلام: «**لا تكن ممّن لا تنفعه العظة إلّا إذا بالغت في إيلامه، فإنّ العاقل يتعظ بالآداب والبهائم لا تتعظ إلّا بالضرب**» الكتاب: ٣١، وقال عليه السلام: «**لا يغش العقل من استنصحه**» قصار الحكم: ٢٧٢، وقال عليه السلام: «**من لم يكن أملك شيء به عقله لم ينتفع بموعظة**»(١).

٢ـ الانتفاع من البلايا والتجارب، قال عليه السلام: «**من لم ينفعه الله**

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٤٥٤٥.

بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة،وأتاه التقصير من أمامه، حتى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف» الخطبة: ١٧٦.

٣ـ القلب السليم، قال عليه السلام بعد ما ذكر الموت والحشر: «**فيا لها أمثالاً صائبة، ومواعظ شافية، لو صادفت قلوباً زاكية، وأسماعاً واعية، وآراء عازمة، وألباباً حازمة**» الخطبة: ٨٢ حيث يشير عليه السلام إلى انّ القلوب الزاكية تنتفع بهذه المواعظ وترتدع.

كما قال عليه السلام ذلك بالنسبة إلى همام لما سأله أن يصف له المتقين، حيث فارقت روحه بدنه بعد ما سمع تلك الأوصاف، فقال عليه السلام: «**أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها**» الخطبة: ١٩٣.

٤ـ وجود الواعظ والرادع الباطني في نفس الإنسان، قال عليه السلام: «**واعلموا انّه من لم يُعَنْ على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر، لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ**» الخطبة: ٨٩.

وقال عليه السلام: «**من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ**» قصار الحكم: ٨٤، كما أشار عليه السلام مرة أخرى إلى لزوم الواعظ الباطني بقوله: «**فاتقى عبد ربه، نصح نفسه، وقدّم توبته، وغلب شهوته**» الخطبة: ٦٣.

٥ـ التواضع في قبول الموعظة من أيّ شخص كانت، قال عليه السلام: «**اقبلوا النصيحة ممّن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم**» الخطبة: ١٢٠.

***

ـ ٥ ـ

موانع قبول الموعظة

كما انّ لقبول الموعظة أسباباً وعللاً، فكذلك لعدم قبولها ورفضها أسباب وعلل، والذي يريد خير نفسه وسعادتها الأبدية، أن يسعى لرفع وإزاحة العلل المؤدّية إلى عدم الاستماع إلى الموعظة، وهي كما وردت على لسان أمير المؤمنين كالتالي:

١ـ حب الدنيا، قال عليه السلام في وصف البغاة وسبب بغيهم: «**فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ «بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها**» الخطبة: ٣.

وقال عليه السلام: «**سبحانك خالقاً ومعبوداً، بحسن بلائك عند خلقك، خلقت داراً، وجعلت فيها مأدبةً: مشرباً ومطعماً، وأزواجاً وخدماً، وقصوراً، وأنهاراً، وزروعاً، وثماراً، ثمّ أرسلت داعياً يدعو إليها، فلا الدّاعي أجابوا، ولا فيما رغّبت [فيه] رغبوا، ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على**

حبّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعينٍ غير صحيحةٍ، ويسمع بأذنٍ غير سميعةٍ، قد خرقت الشّهوات عقله، وأماتت الدّنيا قلبه، وولـهت عليها نفسه، فهو عبدٌ لها، ولـمن في يديه شيءٌ منها، حيثـما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها؛ لا ينزجر من الله بزاجرٍ، ولا يتّعظ منه بواعظٍ» الخطبة: ١٠٨.

وقال عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها من قلبه، آثرها على الله تعالى، فانقطع إليها وصار عبداً لها» الخطبة: ١٦٠.

٢ـ الغفلة والغرور، قال عليه السلام: «بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرّة» قصار الحكم: ٢٧٣.

وقال عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهمّت كل امرئ منكم نفسه، لا يلتفت إلى غيرها، ولكنّكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم» الخطبة: ١١٥.

وتبع عليه السلام جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال عليه السلام: «كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون، نبوّؤهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنّا مخلّدون، قد نسينا كل واعظ واعظة، ورمينا بكلّ جائحة» قصار الحكم: ١١٦.

٣ـ التمرّد والعناد، قال عليه السلام: «**اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلّا فقيراً يكابد فقراً... أو متمرّداً كأنّ بإذنه عن سمع المواعظ وقراً**» الخطبة: ١٢٩.

٤ـ القلب المنكوس، قال عليه السلام: «**فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، قُلب فجُعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه**» قصار الحكم: ٣٦٥.

وقال عليه السلام: «**لو فكّروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والأبصار مدخولة**» الخطبة: ١٨٥.

فهكذا قلب يأبى قبول الموعظة وينفر منها، وهذا ما فتّ عضد الدولة الإسلامية في زمن أميرالمؤمنين عليه السلام، بسبب ابتعاد الأمة عن هدى النبي صلى الله عليه وآله وما أمر بالتمسك به، فكان يقول عليه السلام شاكياً من تخاذلهم: «**استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا... أعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها...**» الخطبة: ٩٦.

***

- ٦ -

نتيجة ترك الموعظة

كما انّ الاتعاظ والاستماع إلى الناصح يوجب السعادة في الدارين، كذلك ترك المواعظ وعدم الاستماع إلى الهداة يوجب الخسران في الدارين.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ*أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ يونس: ٧ـ٨.

كما أشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى هذا الأمر قائلاً: «**أما بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق، العالم المجرّب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة**» الخطبة: ٣٥.

***

ـ ٧ ـ

أنماط الموعظة

قد يتصوّر الإنسان في البداية انّ الموعظة أمر يخص الجانب الأخلاقي فقط كالتزهيد في الدنيا والتزوّد للأخرى وما شاكل، ولكن لو نظرنا إلى الموعظة نظرة شمولية، لرأينا إمكان تعميمها إلى مختلف الجوانب من حياة الإنسان، فتصبح شاملة للجانب السياسي والعقائدي والاجتماعي وغيرها من الجوانب.

ولو صحّ هذا التوسّع، لأمكننا تقسيم الموعظة إلى: ١ـ عقائدية ٢ـ أخلاقية ٣ـ سياسية ٤ـ اجتماعية، لأنّ هذه الجوانب أهمّ ما يدور حولها الإنسان في حياته وسلوكه اليومي، والموعظة والنصيحة فيها تعتبر المؤشّر المطمئن لسلوك الطريق الصحيح، والوصول إلى السعادة التي هي الهدف الأساس والعمود الفقري للمواعظ والنصائح.

وفيما يلي نلقي نظرة عابرة لكل جانب من هذه الجوانب:

١ـ المواعظ العقائدية:

إذا كانت العقائد تنقسم إلى: الهيات، ونبوة وإمامة، ومعاد، فالمواعظ فيها تتمحور حول تصحيح وسدّ الثغرات والأخطاء التي تقع في طريق الفهم الصحيح لهذه المفردات، وإعطاء خطوط عامة وضوابط

لتبيين السلوك الصحيح فقط، وهذا لا يعني الدخول في المباحث الكلامية المفصّلة.

ففي مبحث الإلهيات مثلاً نكتفي بقوله عليه السلام: «**ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين**» الخطبة: ٩٠.

هذا الكلام يعطي ضابطة عامة لطريقة فهم التوحيد الصحيح بعيدة عن التشبيه والتعطيل، فهو عليه السلام يقول من جهة: «**لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً**» الخطبة: ١٥٥، فينفي التشبيه، ويقول من جهة أخرى: «**لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته**» الخطبة: ٤٩، فينفي التعطيل، كما أنّه ينفي الشرك ويقول: «**أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً**» الخطبة: ١٤٩.

أما في مبحث النبوة والإمامة، فيشير عليه السلام في طيّات كلامه ومواعظه إلى انّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، بل أرسل إليهم الأنبياء لهدايتهم، فكان يقول عليه السلام: «**واعلموا عباد الله أنّه لم يخلقكم عبثاً، ولم يرسلكم هملاً**» الخطبة: ١٩٥.

كما يشير عليه السلام إلى لزوم التمسك بهدي النبي صلى الله عليه وآله وعدم التخطي عنه، ويقول فيما كتبه لمالك الأشتر: «**واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور**، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**

وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة» الكتاب: ٥٣.

وكذلك يأمر بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله ويقول: «فتأسّ بنبيك الأطيب الأطهر، فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى، وعزاء لمن تعزّى، وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره... فتأسّى متأس بنبيه، واقتصّ أثره، وولج موالجه، وإلّا فلا يأمن الهلكة» الخطبة: ١٦٠.

ثم يشير عليه السلام إلى مسألة الإمامة ويقول: «أنظروا أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدو، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا» الخطبة: ٩٦.

وقال عليه السلام: «فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش» الخطبة: ٨٦.

وكان يشير إلى نفسه ويقول: «أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفو عين قد روّقت من الكدر» الخطبة: ١٠٤.

وقال عليه السلام أيضاً: «فاستمعوا من ربانيكم، وأحضروه قلوبكم،

واستيقظوا إن هتف بكم» الخطبة: ١٠٧.

فنصائحه عليه السلام كانت تتمحور حول تبيين مسألة لزوم وجود الحجج الإلهية، ثم التمسك بهم وعدم التخطي عن تعاليمهم.

أما بالنسبة إلى المعاد، فنصائحه كانت تتمحور حول عدم العبثية في الخلقة، والتذكير بالقيامة وصعوبة الحساب والكتاب وما شاكل، قال عليه السلام وهو يشير إلى حتمية المعاد لوجود المبدأ: «**أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم، وإليه يكون معادكم**» الخطبة: ١٩٨.

ثم يصف ذلك اليوم قائلاً: «**وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب، وجزاء الأعمال**» الخطبة: ١٠١.

ويشير إلى حتمية ذلك ويقول: «**انّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة، مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى**» الخطبة: ١٥٦.

ويؤكّد عليه السلام انّ الموازين هناك موازين عادلة لا ظلم فيها لأحد، ويقول: «**إذا رجفت الراجفة، وحقّت بجلائلها القيامة، ولحق بكل منسك أهله، وبكل معبود عبدته، وبكلّ مطاع أهل طاعته، فلم يجز في عدله وقسطه يومئذٍ خُرق بصر في الهواء، ولا همس قدم في الأرض إلّا بحقه**» الخطبة: ٢٢٢.

٢ـ المواعظ الأخلاقية:

المواعظ الأخلاقية هي العمدة في هذا الباب، وقد تنوّعت

مواعظ الإمام عليه السلام في نهج البلاغة، بحيث يتمكن الإنسان أن يتعظ ويعتبر من كل شيء، وفيما يلي نشير إلى أهمّ ما ورد في هذا الكتاب الشريف.

١ـ الإسلام، حيث انّ الدين الإسلامي بما فيه من تعاليم شمولية للدنيا والآخرة، خير رافد للاتعاظ، لذا نرى انّ أمير المؤمنين عليه السلام يحمد الله تعالى على هذه النعمة ويقول: «**الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن عقله، وسلماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولُبّاً لمن تدبّر، وآية لمن توسّم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدّق، وثقة لمن توكّل، وراحة لمن فوّض، وجُنّة لمن صبر**» الخطبة: ١٠٥.

والخلاصة انّه بمجموعه: عبرة لمن اتعظ.

٢ـ القرآن الكريم، قال عليه السلام: «**واعلموا انّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، واعلموا انّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى... واستنصحوه على أنفسكم... انّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل القرآن، فإنّه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره**» الخطبة: ١٧٦.

وكتب عليه السلام إلى الحارث الهمداني: «**وتمسّك بحبل القرآن وانتصحه...**» الكتاب: ٦٩.

٣ـ الدنيا، والمتصفّح لنهج البلاغة يرى انّ أمير المؤمنين عليه السلام بالغ بالتزهيد في الدنيا وبيان حقيقة حالها، ولزوم التزوّد منها، وأنّها دار ممرّ وليست مقراً، وهي «**دار موعظة لمن اتعظ بها**» قصار الحكم: ١٢٤. وأنّها قد «**كاشفتك العظات**» الخطبة: ٢٢٢.

ويمكن أن نقسّم كلام الإمام عليه السلام في الموعظة بالدنيا ضمن النقاط التالية:

أ ـ الدنيا قنطرة، وهذا ما يؤكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في مواعظه حيث يقول:: «**الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها**» قصار الحكم: ٤٥١، وقال عليه السلام: «**انّك في منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق إلى الآخرة**» الكتاب: ٣١.

وقال عليه السلام: «**انّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار**» الخطبة: ١٣٢.

وأخيراً: «**ألا وإنّ هذه الدّنيا الّتي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم، ولا منزلكم الّذي خلقتم له ولا الّذي دعيتم إليه، ألا وإنّها ليست بباقيةٍ لكم ولا تبقون عليها، وهي وإن غرّتكم منها فقد حذّرتكم شرّها، فدعوا غرورها**

لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدّار الّتي دعيتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخنّ أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها، واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصّبر على طاعة الله، والـمحافظة على ما استحفظكم من كتابه.

ألا وإنّه لا يضرّكم تضييع شيءٍ من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم، ألا وإنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيءٌ حافظتم عليه من أمر دنياكم»

ب ـ ذم الدنيا، قال عليه السلام: «ما أصف من دار أوّلها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته» الخطبة: ٨١.

وقال عليه السلام: «أيّها النّاس، إنّما أنتم في هذه الدّنيا غرضٌ تنتضل فيه الـمنايا، مع كلّ جرعةٍ شرقٌ، وفي كلّ أكلةٍ غصصٌ، لا تنالون منها نعمةً إلّا بفراق أخرى، ولا يعمّر معمّرٌ منكم يوماً من عمره إلّا بهدم آخر من أجله، ولا تجدّد له زيادةٌ في أكله إلّا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثرٌ إلّا مات له أثرٌ، ولا يتجدّد له جديدٌ إلّا بعد أن يخلق له جديدٌ، ولا تقوم له نابتةٌ إلّا وتسقط منه محصودةٌ» الخطبة: ١٤٥.

وقال عليه السلام: «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزّالها، أحوال مختلفة، وتارات متصرّفة، العيش فيها مذموم، والأمان منها معدوم، وإنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة،

ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها» الخطبة: ٢٢٥.

وقال عليه السلام: «**مثل الدنيا كمثل الحيّة، ليّن مسّها والسم الناقع في جوفها، يهوي إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللب العاقل**» قصار الحكم: ١١٣.

وقال عليه السلام: في وصفها: «**تغرّ وتضرّ وتمرّ، انّ الله تعالى لم يرضها ثواباً لأوليائه، ولا عقاباً لأعدائه**» قصار الحكم: ٤٠٣.

ج ـ عدم الاغترار بالدنيا، قال عليه السلام: «**ولا تغرّنّكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية، والقرون الخالية، الذين احتلبوا درّتها، وأصابوا غرّتها، وأفنوا عدتها، وأخلقوا جدتها**» الخطبة: ٢٢٩.

ووصف عليه السلام المغترّ بالدنيا بقوله: «**ومثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه**» الكتاب: ٣١.

وقال عليه السلام: «**قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة**» الخطبة: ١١٢.

د ـ التحذير من الدنيا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمّا بعد فانّي أُحذّركم الدنيا، فانّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وتحببت بالعاجلة،**

وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حَبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكّالة، غوّالة، لا تعدو ـ إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها ـ أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[1].

لم يكن امرؤ منها في حبرة الا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرّائها بطناً إلّا منحته من ضرّائها ظهراً، ولم تَطُلَّه فيها ديمة رخاء الّا هتنت عليه مزنة بلاء، وحريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة، وإن جانب منها اعذوذب واحلولى، أمرّ منها جانب فأوبى.

لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً، إلّا أرهقته من نوائبها تعباً، ولا يمسي منها في جناح أمن، إلّا أصبح على قوادم خوف، غرارة غرور ما فيها، فانية فان من عليها، لا خير في شيء من أزوادها إلّا التقوى.

من أقل منها استكثر ممّا يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عمّا قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، وذي أبّهة قد جعلته حقيراً، وذي نخوة قد ردّته ذليلاً، سلطانها دول، وعيشها رنق، وعذبها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام، حيّها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم،

---

(١) الكهف: ٤٥.

ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وموفورها منكوب، وجارها محروب.

ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدّ عديداً، وأكثف جنوداً، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أيّ إيثار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلِّغ ولا ظهر قاطع.

فهل بلغكم انّ الدنيا سخت لهم نفساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفوادح، وأوهنتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخر، ووطئتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها، وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد.

هل زودتهم إلّا السغب؟ أو أحلّتهم إلّا الضنك؟ أو نوّرت لهم إلّا الظلمة؟ أو أعقبتهم إلّا الندامة؟ أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدّار لمن لم يتهمها، ولم يكن على وجل منها.

فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ بأنّكم تاركوها وظاعنون عنها، واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشدّ منّا قوّة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران، فهم جيران لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبةً، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون

لايتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربةً، وبالنور ظلمةً، فجاؤوها كما فارقوها، حفاةً عراةً، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال الله سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1]» الخطبة: ١١٠.

وقال عليه السلام: «وأحذّركم الدنيا، فانّها منزل قلعة، وليست بدار نجعة، قد تزيّنت بغرورها، وغرّت بزينتها، دار هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرّها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرّها، لم يصفها الله لأوليائه، ولم يَضِنّ بها على أعدائه، خيرها زهيد، وشرّها عتيد، وجمعها ينفد، وملكها يُسلب، وعامرها يخرب. فما خير دار تُنقض نقض البناء، وعمر يفنى فناء الزاد، ومدّة تنقطع انقطاع السّير» الخطبة: ١١٢.

وقال عليه السلام: «... ووصف لكم الدنيا وانقطاعها، وزوالها وانتقالها، فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها، أقرب دار من سخط الله، وأبعدها من رضوان الله! فغضوا عنكم ـ عباد الله ـ غمومها وأشغالها، لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرّف حالاتها.

---

(١) الأنبياء: ١٠٤.

فاحذروها حذر الشفيق الناصح، والمجدّ الكادح، واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم: قد تزايلت أوصالهم، وزالت أسماعهم وأبصارهم، وذهب شرفهم وعزّهم، وانقطع سرورهم ونعيمهم؛ فبدّلوا بقرب الأولاد فقدها، وبصحبة الأزواج مفارقتها. لا يتفاخرون، ولا يتناصرون، ولا يتناسلون، ولا يتزاورون، ولا يتجاورون.

فاحذروا، عباد الله، حذر الغالب لنفسه، المانع لشهوته، النّاظر بعقله؛ فانّ الأمر واضح، والعلم قائم، والطريق جدد، والسبيل قصد» الخطبة رقم: ١٦١.

وقال عليه السلام: «وأحذّركم الدنيا، فإنّها دار شخوص، ومحلّة تنغيص، ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها مَيَدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار، فمنهم الغرق الوبق، ومنهم الناجي على متون الأمواج، تحفزه الرياح بأذيالها، وتحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرك، وما نجا منها فالى مهلك» الخطبة رقم: ١٩٦.

وقال عليه السلام: «فاحذروا الدنيا فإنّها غدّارة غرّارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رضاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها» الخطبة رقم: ٢٢٩.

وقال عليه السلام: «اتق الله في كل صباح ومساء، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولاتأمنها على حال، واعلم انّك إن لم تردع نفسك عن كثير مما

تحب مخافة مكروهه، سَمَت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً» الكتاب: ٥٦.

هـ نبذ الدنيا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ، وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة، فانّها قد رفضت من كان أشغف بها منكم» الخطبة: ٣٢.

وقال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبّوا تركها، والمبلية لأجسادكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنّما مثلكم ومثلها كسَفْر سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها، وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها، فلا تنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها، فانّ عزّها وفخرها إلى انقطاع، وزينتها ونعيمها إلى زوال، وضرّاءها وبؤسها إلى نفاد، وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حيّ فيها إلى فناء» الخطبة: ٩٨.

وقال عليه السلام: «انّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم» الخطبة: ٢٢٢.

وقال عليه السلام: «فقطّعوا علائق الدنيا، واستظهروا بزاد التقوى» الخطبة: ٢٠٥.

وقال عليه السلام: «**ألا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها، انّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنة، فلا تبيعوها إلّا بها**» قصار الحكم: ٤٤٤.

و ـ سرعة انقضاء الدنيا، انّ الفترة الزمنية التي يعيشها الإنسان في الدنيا بالنسبة إلى عالم الخلود الذي سيرحل إليه، لا تكون إلّا قليلة، ولذا جاء في الذكر الحكيم: ﴿**قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ**﴾[1] وكما في الحديث الشريف: «الدنيا ساعة فاجعلها في طاعة»[2].

انّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحون بتذكير سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت، فيقول عليه السلام: «**انّ غداً من اليوم قريب، ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهور، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر**» الخطبة: ١٨٨.

ويقول أيضاً: «**الأمر قريب والاصطحاب قليل**» قصار الحكم: ٦٩.

ويقول: «**الرحيل وشيك**» قصار الحكم: ١٧٧. «**ما أقرب الحيّ من الميت للحاقه به، وأبعد الميت من الحيّ لانقطاعه عنه**» الخطبة رقم: ١١٣. «**ولينظر امرؤٌ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً**» الخطبة: ٢١٤. «**إذا كنت في إدبار والموت في اقبال فما أسرع الملتقى**»

---

(١) المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور ١: ٢٨٥ ح١٣١.

قصار الحكم: ٤٩٠. ويحذرنا عليه السلام ويقول: «**فاحذروا عباد الله الموت وقربه**» الكتاب رقم: ٢٧. ويقول لابنه الحسن عليه السلام: «**وكأنّك عن قليل صرت كأحدهم**» الكتاب رقم: ٣١.

والمتصفح لنهج البلاغة يجد الكثير من هذه العبارات التي تذكّرنا بقرب الرحيل وسرعة انقضاء الدنيا، وإليك بعضها:

«**أما بعد فانّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وانّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع**» الخطبة رقم: ٢٨.

«**فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وانقطعت منكم علائق الأمنية، ودهمتكم مفظعات الأمور، والسياقة إلى الورد المورود**» الخطبة رقم: ٨٤.

«**فإنّها [أي الدنيا] والله عمّا قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن... فلا يغرنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها**» الخطبة رقم: ١٠٢.

«**وما هو إلّا الموت أسمع داعية، وأعجل حاديه**» الخطبة رقم: ١٣٣.

«**ما أقرب اليوم من تباشير غد**» الخطبة رقم: ١٥٠..

«**واعلموا انّ ملاحظ المنية نحوكم دانية، وكأنّكم بمخالبها وقد نشبت فيكم، وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور**» الخطبة رقم: ٢٠٤.

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهاننا وقلوبنا يستخدم أمير المؤمنين عليه السلام أسلوب التشبيه، فتارة يشبّه سرعة انقضاء الدنيا ببقية الماء في الإناء ويقول: «**ألا وانّ الدنيا قد ولّت حذاء، فلم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء اصطبها صابها**» الخطبة رقم: ٤٢. «**ألا وانّ الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء... فلم يبق منها إلّا سملة كسملة الإداوة، أو جرعة كجرعة المقلة، لو تمزّزها الصديان لم ينقع**» الخطبة رقم: ٥٢..

وتارة يشبّه سرعة انقضائها بالظل ويقول: «**فانّها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابغاً حتى قلص، وزائداً حتى نقص**» الخطبة رقم: ٦٢.

وأخرى بالمسافر فيقول: «**فإنّما مثلكم ومثلها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها**» الخطبة رقم: ٩٨، «**فإنّما أنتم كركب وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير**» الخطبة رقم: ١٥٧. «**انّ أهل الدنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا**» قصار الحكم: ٤٠٣. «**وأنتم بنو سبيل على سَفَر من دار ليست بداركم**» الخطبة رقم: ١٨٣.

وأخيراً التمثيل بالليل والنهار ومجيء الشمس والقمر، إذ انّ «**الشمس والقمر دائبان في مرضاته، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد**» الخطبة رقم: ٨٩. «**وانّ غائباً يحدوه الجديدان: الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة**» الخطبة رقم: ٦٣.

ويقول لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «**واعلم انّ من كانت مطيته الليل والنهار، فانّه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً**» الكتاب رقم: ٣١.

ويقول عليه السلام: «**وانصرمت الدنيا بأهلها، وأخرجتهم من حضنها، فكانت كيوم مضى وشهر انقضى**» الخطبة رقم: ١٩٠.

فلماذا هذه الغفلة يا إنسان، ألا تعلم انّ «**نفس المرء خطاه إلى أجله**» قصار الحكم: ٦٩. و«**رب مستقبل يوم ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره**» قصار الحكم: ٣٧٠. وليس هذا إلّا من طول الأمل والاغترار بالدنيا، إذ «**لو رأى العبد الأجل ومسيره لأبغض الأمل وغروره**» قصار الحكم: ٣٢٥.

وهذا ما ينبهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «**قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة**» الخطبة رقم: ١١٢. وهذا هو سبب هلاك الماضين حيث يقول عليه السلام: «**انّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، وتغيّب آجالهم**» الخطبة رقم: ١٤٧.

فعلينا أن نستعد ونخشى حلول الموت ونحن في غفلة عنه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل**».

٤ـ **الموت** ، وهو من المواعظ المهمّة التي تطرّق إليها

أميرالمؤمنين عليه السلام كثيراً، إذ أنّه من أهم الدواعي للتنفير من الدنيا والتزوّد للآخرة، فقد قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**يا بني أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك**» الكتاب رقم: ٣١.

ويقول أيضاً: «**طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب**» قصار الحكم: ٣٩.

ويوصي عليه السلام المسلمين عموماً ويقول: «**وأوصيكم بذكر الموت، وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم**» الخطبة رقم: ١٨٨. وأيضاً: «**أسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم**» الخطبة رقم: ١١٢.

وقد وصف عليه السلام خلّص صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم**» الخطبة رقم: ٩٦.

ولذكر الموت فوائد كثيرة ومنافع جمة، وقد ورد ذكر بعضها في نهج البلاغة وهي:

ألف: ترك اللهو واللعب:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**أما والله انّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت**» الخطبة رقم: ١٣٨.

ب: ترك الشهوات والملاذ الدنيوية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال القبيحة**» الخطبة رقم: ٩٨.

وقال عليه السلام: «**فانّ الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طياتكم**» الخطبة رقم: ٢٢٩. وقال عليه السلام: «**اذكروا انقطاع اللذات، وبقاء التبعات**» قصار الحكم: ٤٢١.

وقال عليه السلام: في عهده للاشتر بعدما أمره بترك خصال: «**ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك**» الكتاب رقم: ٥٣.

ج: خشوع القلب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «**وأحي قلبك بالموعظة... وذلله بذكر الموت**» الكتاب رقم: ٣١. وقال: «**وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر**» الخطبة رقم: ٣٢.

د: القناعة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير**» قصار الحكم: ٣٣٩.

هـ: الأعمال الصالحة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أما بعد فانّ من لم يحذر ما هو صائر إليه، لم يقدم لنفسه ما يحرزها**» الكتاب رقم: ٥١. وقال عليه السلام: «**ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات**» قصار الحكم: ٢٧. وقال: «**من تذكر بعد السفر استعد**» قصار الحكم: ٢٧١.

حتميّة الموت للإنسان:

انّ من نتائج الانغمار في ملاذ الدنيا نسيان الموت، رغم ما نرى من كثرة الموتى حولنا، فكأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وهذه آفة لابد أن نتخلص منها ونتيقن بأنّنا ميتون، وهذا ما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام حيث أمره بإحياء قلبه بالمواعظ وبصفات أخر، ثم قال: «**وقرّره بالفناء**» الكتاب رقم: ٣١. ويأمرنا بذلك أيضاً ويقول: «**فحقّقوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه**» الخطبة رقم: ١٩٦.

وتقريراً لذلك يذكر أمير المؤمنين عليه السلام شواهد ممن مات من الأنبياء والعظماء ويقول: «**فلو انّ أحداً يجد إلى البقاء سلماً أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سُخّر له مُلك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته، واستكمل مُدّته، رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطلة، ورثها قوم آخرون، وانّ لكم في القرون السالفة لعبرة**» الخطبة رقم: ١٨٢.

انّ الموت يلازمنا ولا ينجو منه أحد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبه**» الخطبة رقم: ٣٨. «**والدنيا دار مُني لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء**» الخطبة رقم: ٤٥. ويوصينا عليه السلام ويقول: «**فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال**» الخطبة رقم: ٥٢. ويذكرنا بانّ الدنيا «**كل مدّة فيها إلى انتهاء، وكل حيّ فيها إلى فناء**» الخطبة رقم: ٩٨. والله تعالى وعد نفسه وألزمها بذلك، قال عليه السلام: «**ووأى على نفسه ألّا يضطرب شبحٌ ممّا أولج فيه الروح إلّا وجعل الحمام موعده، والفناء غايته**» الخطبة رقم: ١٦٥.

وهذه الحتمية وهذا اللزوم لا ينفعه الفرار، إذ انّ «**الأجل مساق النَفْس والهرب منه موافاته**» الخطبة رقم: ١٤٩. وذلك لانّ «**الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب**» الخطبة رقم: ١٢٢. وقد قال عليه السلام أيضاً: «**وأنتم طرداء الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من خلفكم**» الكتاب رقم: ٢٧. وأخيراً يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام ويذكره ويقول له: «**وانّك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولابد انّه مدركه**» الكتاب رقم: ٣١.

الاستعداد للموت:

بعدما قررنا قلوبنا بالفناء، وأثبتنا لها الموت وسرعة حلوله، لابد أن نستعد له ونأخذ حذرنا منه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واستعدوا**

للموت فقد أضلكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا انّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فانّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلّا الموت أن ينزل به... وانّ قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العُدّة، فتزوّدوا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غداً» الخطبة رقم: ٦٣.

وقال لابنه الحسن عليه السلام: «**فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك**» الكتاب رقم: ٣١. فيأمر ابنه بإصلاح المثوى، ويأمر غيره بالتجهيز ويقول: «**تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلّوا العُرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد**» الخطبة رقم: ٢٠٤. ويقول عليه السلام: «**فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته، فانّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لايكون معه خير أبداً**» الكتاب رقم: ٢٧.

وقال عليه السلام في وصف أحبّ العباد إلى الله تعالى عبد: «**أعدّ القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد**» الخطبة رقم: ٨٦.

وكثيراً ما نرى في نهج البلاغة الأمر بمبادرة الموت والاستعداد له، ونشير فيما يلي إلى بعضها:

قال عليه السلام: «**رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى... وبادر الأجل، وتزوّد من العمل**» الخطبة رقم: ٧٥.

وقال عليه السلام: «**وبادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت، فانّ الناس أمامكم، وانّ الساعة تحدوكم من خلفكم**» الخطبة رقم: ١٦٧.

وقال عليه السلام: «**فبادروا المعاد، وسابقوا الآجال، فانّ الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويُسدّ عنهم باب التوبة**» الخطبة رقم: ١٨٣.

وقال عليه السلام: «**وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله... وبادروا آجالكم بأعمالكم، فانّكم قوم مرتهنون بما أسلفتم، ومدينون بما قدّمتم، وكأن قد نزل بكم المخوف، فلا رجعة تنالون، ولا عثرة تقالون**» الخطبة رقم: ١٩٠.

وقال عليه السلام: «**وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم**» قصار الحكم: ١٩٣.

الاحتضار وسكرة الموت:

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾[2].

---

(١) ق: ١٩.

(٢) الأنفال: ٥٠.

وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ * وَقِيلَ مَنْ راقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْـمَساقُ﴾[1].

ابتداء من الاحتضار تبدأ رحلة الإنسان الأخروية، وهي عقبة مهولة ومصيرية، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وحقيق بالإنسان أن يستعد لها، ويطيل النظر حولها ليسلم من فزعاتها، إذ «**انّ للموت لغمرات هي أفضع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا**» الخطبة رقم: ٢٢٠.

وقد ورد في نهج البلاغة موارد مختلفة لوصف ساعة الاحتضار، وما يحيق بالإنسان من شدائد ومصاعب، نوردها كما هي ومن دون تعليق إذ انّ كلام الأمير عليه السلام أبلغ في الموعظة من أي شرح وتعليق:

قال عليه السلام في صفة أهل الغفلة: «**دهمته فجعات المنية في غُبّر جماحه، وسنن مِراحه، فظلّ سادراً، وبات ساهراً في غمرات الآلآم، وطوارق الأوجاع والأسقام بين أخ شقيق، ووالد شفيق، وداعية بالويل جزعاً، ولادمة للصدور قلقاً، والمرء في سكرة ملهية، وغمرة كارثة، وأنّة موجعة وجذبة مكربة، وسَوقة متعبة**» الخطبة رقم: ٨٢.

وقال عليه السلام: «**فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت، وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم، ثم**

---

(١) القيامة: ٢٦ ـ ٣٠.

ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وانّه لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه على صحة من عقله، وبقاء من لبّه، يفكّر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره. ويتذكّر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها، فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره، ويتمنّى انّ الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه وسمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يُردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله، قد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، لا يُسعد باكياً ولا يُجيب داعياً» الخطبة رقم: ١٠٨.

ويصف عليه السلام الإنسان حال كونه طريح الفراش قد أيس منه أهله وأصدقاؤه: «فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه، فكم من مهم من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه، ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه، من كبير كان يعظّمه، أو صغير كان

يرحمه، وانّ للموت لغمرات هي أفضع من أن تُستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا» الخطبة رقم: ٢٢٠.

وقال عليه السلام: «**فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله، وحنادس غمراته، وغواشي سكراته، وأليم إرهاقه، ودجوّ أطباقه، وجشوبة مذاقه**» الخطبة رقم: ٢٢٩.

وقال عليه السلام أيضاً في وصف تلك الشدائد: «**فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب**» الخطبة رقم: ٢٠.

فعلينا التفكر في هذه الأوصاف الموحشة والاستعداد والاستعاذة بالله تعالى، فقد ورد في الدعاء: «اللهم أعنّي على سكرات الموت، اللهم أعنّي على غمرات الموت»[1].

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «الهي الأمان عند سكرات الموت، وعند مفارقة الروح، وعند معاينة الموت» وعلينا بالأعمال التي تخفف سكرات الموت من قبيل: الإحسان إلى الإخوان، صلة الرحم، بر الوالدين، ترك الذنوب، صوم أربعة وعشرين يوماً من رجب أو صوم آخر رجب، وغيرها من الأعمال المذكورة في مظانّها.

٥ـ القبر، وهو أيضاً من أهم موارد العظة ، فقد قال أمير المؤمنين

---

(١) المصباح للطوسي: ٥٦٨.

عليه السلام: «**واذكر قبرك، فانّ عليه ممرك**» الخطبة رقم: ١٥٣. ولما كان راجعاً من صفين مرّ على قبور بظاهر الكوفة فخاطبهم وقال: «**يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق**» قصار الحكم: ١٢٣.

هذا المنزل أيضاً مهول وعظيم، والإنسان لو سلم من المنزل الأول وهو الموت والاحتضار، لاستقبله هذا المنزل الموحش الذي يجمع عدّة أهوال، وقد وردت الإشارة إلى بعضها في نهج البلاغة نذكرها فيما يلي:

١ـ وحشة القبر وضيقه وغربته:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع... وقد غودر في محلة الأموات رهيناً، وفي ضيق المضجع وحيداً... ثم أدرج في أكفانه مبلساً، وجذب منقاداً سلساً، ثم أُلقي على الأعواد رجيع وصب، ونضو سَقَم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الاخوان إلى دار غربته، ومنقطع زورته**» الخطبة رقم:٨٢.

وقال عليه السلام: «**واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منّا قوة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات**

جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبة، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة» الخطبة رقم: ١١٠.

وقال عليه السلام: «فكأنّ كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته، ومخط حفرته، فيا له من بيت وحدة، ومنزل وحشة، ومُفرد غربة» الخطبة رقم: ١٥٧.

وقال عليه السلام: «كفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وانزلوا فيها غير نازلين، كأنّهم لم يكونوا للدنيا عماراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً، أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون» الخطبة رقم: ١٨٨.

وقال عليه السلام: «فمحلّها [أي القبور] مقترب، وسكانها مغترب، بين أهل محلّة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدار» الخطبة رقم: ٢٢٥.

وقال عليه السلام في صفة أصحاب القبور بانّهم لو نطقوا لقالوا: «كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام

البلى، وتكاءدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق متسعاً» الخطبة رقم: ٢٢٠.

٢ـ تجسّم الأعمال وتلازمها للإنسان:

انّ الأعمال تتجسد للإنسان في القبر، فيراها بصورها الحسنة أو القبيحة قال عليه السلام: **«وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى... معاينة المحل وثواب العمل... والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لاتستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيّئ زللها»**.

وأشار عليه السلام إلى التلازم القائم بين الإنسان وبين عمله وقال عليه السلام: **«ثم حملوه إلى مخطّ في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله»** الخطبة رقم: ١٠٨.

وقال عليه السلام: **«قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والدار الباقية»** الخطبة رقم: ١١٠. وقال عليه السلام: **«لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً، ولا في حسن يستطيعون ازدياداً»** الخطبة رقم: ١٨٨.

٣ـ ضغطة القبر:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس... واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللحد،**

وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح» الخطبة رقم: ١٩٠.

وقال عليه السلام: «**وكأنْ قد صرتم إلى ما صاروا إليه... وضمكم ذلك المستودع**» الخطبة رقم: ٢٢٥.

ولشدة هذا الأمر وهوله كان الإمام الباقر عليه السلام يتعوذ منه ويقول: «اللهم انّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن ضغطة القبر»[1].

٤ـ تناخر الأجسام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**قد هتكت الهوام جلدته، وأبلت النواهك جدّته، وعفت العواصف آثاره، ومحى الحدثان معالمه، وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها، والعظام نخرة بعد قوّتها**» الخطبة رقم: ٨٢.

وقال عليه السلام: «**سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال... فلو كانوا ينطقون... فقالوا: كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام البلى... فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا... فلو مثلتهم بعقلك، أو كشفت عنهم محجوب الغطاء لك، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت،**

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٥٢٦.

وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بلىً سمّجها وسهّل طرق الآفة إليها، مستسلمات فلا أيدٍ تدفع، ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون، لهم في كل فظاعة صفة حال لاتنتقل، وغمرة لا تنجلي، فكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون، كان في الدنيا غذيّ ترف وربيب شرف، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه» الخطبة رقم: ٢٢٠.

وقال عليه السلام في وصف أصحاب القبور وعدم التزاور فيما بينهم مع قرب الجوار: «**وكيف يكون بينهم تزاور، وقد طحنهم بكلكله البِلى، وأكلتهم الجنادل والثرى**» الخطبة رقم: ٢٢٥.

٥ـ المساءلة في القبر:

من الشدائد التي تواجه الإنسان في القبر سؤال منكر ونكير إياه ومحاسبته، ولذا يُلقّن الميّت قبل الدفن وبعد الدفن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**حتى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجّع، أُقعد في حفرته نجيّاً لبهتة السؤال، وعثرة الامتحان**» الخطبة رقم: ٨٢.

وقد قال أبو ذر رحمه الله لما وقف على قبر ابنه: «ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك، فليت

شعري ما قلت وما قيل لك»[1].

نسأل الله تعالى أن يعيننا في اجتياز هذا المنزل الصعب بمنّه وكرمه، ويوفقنا لأداء الفرائض والتمسك بأذيال آل محمد عليهم السلام، فقد ورد في الحديث: «إذا مات المؤمن دخل القبر معه ستة أوجه، كل واحد أجمل وأعطر وأنظف من باقي الوجوه، فتستقر الوجوه الستة في ستة مواضع عن يمينه وشماله وخلفه وقدامه والى جانب قدميه، وأحلاها وأطيبها إلى جانب رأسه، فإذا أتاه السؤال أو العذاب من كل جانب منعه وجه من الوجوه الستة، ويسأل الوجه الأجمل باقي الأوجه: من أنتم جزاكم الله منّي خيراً؟

فيقول الوجه المستقر على يمين المؤمن : أنا الصلاة ، ويقول الوجه المستقر على شمال المؤمن أنا الزكاة، ويقول المواجه لوجه المؤمن: أنا الصوم ، ويقول المستقر خلف المؤمن : أنا الحج ، ويقول المحاذي لقدميه: أنا البر والإحسان للإخوة المؤمنين، ثم يسأله الجميع عن نفسه ومن أنت بجمالك البهي الفائق العطر ؟ فيقول: أنا ولاية آل محمد عليهم السلام»[2].

ومن هذا المنزل يبدأ البرزخ حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ١٨٥ ح٥٥٨.

(٢) البحار ٧٦: ٩٧ ح٢.

﴿بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] وقد قال الصادق عليه السلام: ولكنّي والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة[2].

أعاذنا الله وجميع المؤمنين من أهواله بمنّه وكرمه، وببركة شفاعة محمد و آل محمد عليهم السلام.

٦ـ **القيامة**، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أهوال القيامة: «**وبالقيامة تُزلف الجنة، وتُبرز الجحيم للغاوين، وانّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى، قد شخصوا من مستقر الأجداث، وصاروا إلى مصائر الغايات، لكل دار أهلها، لايُستبدلون بها ولا يُنقلون عنها**» الخطبة رقم: ١٥٦.

ويحذّرنا عليه السلام ذلك اليوم قائلاً: «**احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال... وكأنّ الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلّت عنكم العلل، واستحقت بكم الحقائق، وصدرت بكم الأمور مصادرها**» الخطبة رقم: ١٥٧.

وهي منزلة مهولة إذ لما ينفخ في الصور «**تزهق كل مهجة، وتبكم**

---

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٤٣.

كل لهجة، وتذلّ الشمّ الشوامخ، والصم الرواسخ، فيصير صلدها سراباً رقرقاً، ومعهدها قاعاً سملقاً، فلا شفيعٌ يشفع، ولا حميمٌ ينفع، ولا معذرةٌ تدفع» الخطبة رقم: ١٩٥.

وقال عليه السلام: «انّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة، لابدّ من الورود عليها، والوقوف عندها» الخطبة رقم: ٢٠٤. «إذا رجفت الراجفة، وحقّت بجلائلها القيامة، ولحق بكلّ منسك أهله، وبكل معبود عبدته، وبكل مطاع أهل طاعته» الخطبة رقم: ٢٢٢. «واعلم انّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وانّه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الزاد مع خفّة الظهر» الكتاب رقم: ٣١.

ومن الأهوال التي يواجهها الإنسان في هذا المنزل:

١ - البعث من القبور ونفخ الصُّور:

قال تعالى: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾[1].

في هذه العقبة المهولة تبعثر القبور، ويخرج الإنسان وتجتمع أجزاء جسمه من كل مكان، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حتى إذا تصرمت الأمور وتقضّت الدهور، وأزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور،

---

(١) الحاقة: ١٣ ـ ١٦.

وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك سراعاً إلى أمره، معهطعين إلى معاده» الخطبة رقم: ٨٢.

وقال عليه السلام: «**حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وأُلحق آخر الخلق بأوّله، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها، وأرجّ الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته، وأخرج مَن فيها فجددهم بعد أخلاقهم، وجمعهم بعد تفريقهم**» الخطبة رقم: ١٠٨.

ولهول هذه العقبة كان يبكي منها الإمام السجاد عليه السلام ويقول: «أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرّة عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ الخلائق في شأن غير شأني، لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه، وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة وذلة».

٢- المحاسبة:

قال الله تعالى ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾(١).

وهذه العقبة أيضاً من أشد العقبات، حتى انّ أمير المؤمنين عليه السلام لما خانه أحد عماله خوّفه بيوم الحساب وكتب له: «**أو ما تخاف نقاش**

---

(١) الأنبياء: ١.

الحساب» الخطبة رقم: ٤١. وكتب عليه السلام إلى معاوية ينصحه : «**وخذ أُهْبَةَ الحساب**» الكتاب رقم: ١٠.

وقال عليه السلام في وصف وقوف الناس للحساب: «**رعيلاً صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويُسمعهم الداعي، عليهم لبوس الاستكانة، وضرع الاستسلام والذلّة، قد ضلّت الحيل، وانقطع الأمل، وهوت الأفئدة كاظمة، وخشعت الأصوات مهينمة، وأُلجم العرق، وعظم الشفق، وأُرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب، ومقايضة الجزاء، ونكال العقاب، ونوال الثواب**» الخطبة رقم: ٨٢ .

وقال عليه السلام : «**وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال، خضوعاً قياماً قد ألجمهم العرق، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولِنَفْسِهِ متسعاً**» الخطبة رقم: ١٠١.

وقال عليه السلام : «**ثم ميّزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء**» الخطبة رقم: ١٠٨. ويشير عليه السلام إلى الدقة في الحساب ورعاية العدل والانصاف: «**فلم يُجْز في عدله وقسطه يومئذٍ خرق بصر في الهواء، ولا همس قدم في الأرض إلّا بحقه، فكم حجة يوم ذاك داحضة، وعلائق عذر منقطعة**» الخطبة رقم: ٢٢٢.

وهذه الدقة في الحساب تشمل جميع الأمور ولا تغادر شيئاً: «**انّ**

الله تعالى يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فان يعذّب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم» الكتاب رقم: ٢٧.

وقال عليه السلام: «**القصاص هناك شديد، ليس هو جرحاً بالمدى، ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه**» الخطبة رقم: ١٧٦.

٣- الصراط:

من العقبات المهولة والمصيرية في القيامة عقبة الصراط، وهو آخر مرحلة من مراحل القيامة حيث منه الجواز إلى الجنة أو الوقوع في النار.

وكان من دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «واكتب لي براءة من النار، وأماناً من العذاب، وجوازاً على الصراط» ومن دعاء الإمام الصادق عليه السلام: «وسلّمني على الصراط، وأجزني عليه»[1].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في تبيين صعوبة الصراط وهوله: «**واعلموا انّ مجازكم على الصراط ومزالق دحضه، وأهاويل زلله وتارات أهواله**» الخطبة رقم: ٨٢.

ومن الأمور النافعة لجواز الصراط: حب أهل البيت عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أثبتكم قدماً على الصراط أشدكم حباً لأهل

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٥٨٤.

بيتي»[1].

ومنها إسباغ الوضوء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أسبغ الوضوء تمر على الصراط مرّ السحاب»[2].

ومنها صلة الرحم وأداء الأمانة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حافتا الصراط يوم القيامة الأمانة والرحم، فإذا مرّ الوصول للرحم والمؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة»[3].

ومنها صلاة أول ليلة من رجب، وصيام ستة أيام من رجب، وزيارة الإمام الرضا عليه السلام حيث ورد عنه عليه السلام: «من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»[4].

٤- شهود يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5].

---

(١) فضائل الشيعة للصدوق: ٤٨.

(٢) البحار ٧٦: ٤ ح٨.

(٣) عدة الداعي لابن فهد: ٨١.

(٤) الأمالي للصدوق: ١٠٦.

(٥) النور: ٢٤.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ * وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لايَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وفي هذا المجال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعلموا عباد الله انّ عليكم رصداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم، وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا يكنّكم منهم باب ذو رتاج**» الخطبة رقم: ١٥٧.

وقال عليه السلام: «**أعضاؤكم شهوده، وجوارحكم جنوده، وضمائركم عيونه، وخلواتكم عيانه**» الخطبة رقم: ١٩٩. ومضافاً إلى شهادة الجوارح فهناك من الملائكة الكرام ممّن يحصي علينا أعمالنا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكل بذلك حفظة كراماً، لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً**» الخطبة رقم: ١٨٣.

والله تعالى هو المحصي والشاهد فوق كل هؤلاء، قال عليه السلام: «**أحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفاسهم، وخائنة أعينهم وما تخفي**

---

(١) فصلت: ١٩ ـ ٢٢.

صدورهم من الضمير، ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات» الخطبة رقم: ٨٩ .

٧ـ **الاتعاظ بالآخرين أو الاعتبار منهم**، وهذا أيضاً نمط آخر من أنماط الموعظة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان يقول: «**السعيد من وُعظ بغيره**» الخطبة: ٨٥، وقال عليه السلام: «**واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم**» الخطبة: ٣٢، وقال عليه السلام: «**ووعظتم بمن كان قبلكم**» الخطبة: ١٧٦.

ويتم الاتعاظ بالآخرين من خلال دراسة حالهم والوقوف عليها، والنظر فيما آل إليه أمرهم، قال عليه السلام: «**واتّعظوا فيها بالّذين ﴿قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وأنزلوا [الأجداث] فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لـهم من الصّفيح أجنانٌ، ومن التّراب أكفانٌ، ومن الرّفات جيرانٌ، فهم جيرةٌ لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبةً، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميعٌ وهم آحادٌ، وجيرةٌ وهم أبعادٌ، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسّعة ضيقاً، وبالأهل غربةً، وبالنّور ظلمةً، فجاؤوها كما فارقوها، حفاةً عراةً، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الـحياة الدّائمة والدّار الباقية**».

وقال عليه السلام: «**واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، وذميم الأعمال، فتذكّروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم**» الخطبة: ١٩٢.

٨ ـ **التقوى**، وقد أكثر أميرالمؤمنين عليه السلام في موعظة الناس وتذكيرهم بالتقوى، فقد قال عليه السلام: «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله الّذي ضرب لكم الأمثال، ووقّت لكم الآجال، وألبسكم الرّياش، وأرفغ لكم المعاش، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء، وآثركم بالنّعم السّوابغ، والرّفد الرّوافغ، وأنذركم بالحجج البوالغ فأحصاكم عدداً ووظّف لكم مدداً في قرار خبرةٍ، ودار عبرةٍ أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها**» الخطبة: ٨٢.

قال عليه السلام: «**فاتّقوا الله تقيّة من سمع فخشع، واقترف فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبّر فاعتبر، وحذّر فحذر، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، وأري فرأى، فأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرةً، وأطاب سريرةً، وعمّر معاداً، واستظهر زاداً ليوم رحيله ووجه سبيله وحال حاجته وموطن فاقته، وقدّم أمامه لدار مقامه، فاتّقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له، واحذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه، واستحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز لصدق ميعاده والحذر، من هول معاده**» الخطبة: ٨٢.

قال عليه السلام: «**فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبٍّ شغل التّفكّر قلبه،**

وأنصب الخوف بدنه، وأسهر التّهجّد غرار نومه، وأظمأ الرّجاء هواجر يومه، وظلف الزّهد شهواته، وأوجف الذّكر بلسانه، وقدّم الخوف لأمانه، وتنكّب المخالج عن وضح السّبيل، وسلك أقصد المسالك إلى النّهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافراً بفرحة البشرى، وراحة النّعمى، في أنعم نومه، وآمن يومه، قد عبر معبر العاجلة حميداً، وقدّم زاد الآجلة سعيداً، وبادر من وجلٍ، وأكمش في مهلٍ، ورغب في طلبٍ، وذهب عن هربٍ، وراقب في يومه غده، ونظر قدماً أمامه» الخطبة: ٨٢.

قال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله الّتي هي الزّاد وبها المعاذ، زادٌ مبلغٌ ومعاذٌ منجحٌ، دعا إليها أسمع داعٍ، ووعاها خير واعٍ، فأسمع داعيها، وفاز واعيها، عباد الله إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته حتّى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الرّاحة بالنّصب، والرّيّ بالظّمإ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل» الخطبة: ١١٣.

قال عليه السلام: «وأوصاكم بالتّقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه، فاتّقوا الله الّذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلّبكم في قبضته إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكّل بذلك حفظةً كراماً، لا يسقطون حقّاً ولا يثبتون باطلاً واعلموا أنّه من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظّلم، ويخلّده فيما اشتهت نفسه، وينزله منزل

الكرامة عنده، في دارٍ اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه ونورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رسله» الخطبة: ١٨٣.

قال عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله فإنّها حقّ الله عليكم، والموجبة على الله حقّكم وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فإنّ التّقوى في اليوم الحرز والجنّة وفي غدٍ الطّريق إلى الجنّة، مسلكها واضحٌ، وسالكها رابحٌ، ومستودعها حافظٌ، لم تبرح عارضةً نفسها على الأمم الماضين منكم والغابرين لحاجتهم إليها غداً إذا أعاد الله ما أبدى وأخذ ما أعطى وسأل عمّا أسدى، فما أقلّ من قبلها وحملها حقّ حملها أولئك الأقلّون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾ فأهطعوا بأسماعكم إليها، وألظّوا بجدّكم عليها، واعتاضوها من كلّ سلفٍ خلفاً ومن كلّ مخالفٍ موافقاً، أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارحضوا بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحمام، واعتبروا بمن أضاعها ولا يعتبرنّ بكم من أطاعها، ألا فصونوها وتصوّنوا بها، وكونوا عن الدّنيا نزّاهاً وإلى الآخرة ولاهاً، ولا تضعوا من رفعته التّقوى، ولا ترفعوا من رفعته الدّنيا» الخطبة: ١٩١.

قال عليه السلام: «أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله الّذي ابتدأ خلقكم وإليه يكون معادكم، وبه نجاح طلبتكم، وإليه منتهى رغبتكم، ونحوه قصد سبيلكم، وإليه مرامي مفزعكم، فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم،

وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، و أمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم، فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم، ودخيلاً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين ورودكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجنّةً ليوم فزعكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فإنّ طاعة الله حرزٌ من متالف مكتنفةٍ، ومخاوف متوقّعةٍ، وأوار نيرانٍ موقدةٍ؟، فمن أخذ بالتّقوى عزبت عنه الشّدائد بعد دنوّها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصّعاب بعد إنصابها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدّبت عليه الرّحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النّعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها، فاتّقوا الله الّذي نفعكم بموعظته، ووعظكم برسالته، وامتنّ عليكم بنعمته، فعبّدوا أنفسكم لعبادته، واخرجوا إليه من حقّ طاعته» الخطبة: ١٩٨.

قال عليه السلام: «واعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ولم يشاركوا أهل الدّنيا في آخرتهم، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدّنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون، ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ، والمتجر الرّابح، أصابوا لذّة زهد

الدّنيا في دنياهم، وتيقّنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا تردّ لهم دعوةٌ ولا ينقص لهم نصيبٌ من لذّةٍ» الكتاب: ٢٧.

٩ ـ الطاعة والعبودية، وقد حثّ عليها أمير المؤمنين عليه السلام وبالغ في الموعظة بها، فقال فيما قال: **«عباد الله انّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه»** الخطبة: ٨٥، وقال: **«فاتقوا الله عباد الله، وفرّوا إلى الله من الله، وامضوا في الذي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم»** الخطبة: ٢٤.

وكان ينادي عليه السلام ويقول: **«أين القلوب التي وُهبت لله، وعوقدت على طاعة الله»** الخطبة: ١٤٤، ويقول: **«أطيعوا الله ولا تعصوه»** الخطبة: ١٦٧، وكذلك: **«استتمّوا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله»** الخطبة: ١٧٣.

وقال عليه السلام أيضاً: **«فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم، ودخيلاً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين ورودكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجنّة ليوم فزعكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فإنّ طاعة الله حرز من متالف مكتنفة، ومخاوف متوقّعة، وأوار نيران موقدة»** الخطبة: ١٩٨.

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: **«أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلّا باتباعها، ولا يشقى إلّا مع جحودها وإضاعتها»** الكتاب: ٥٣.

وفي كتابه إلى الحارث الهمداني: «**وأطع الله في جميع أمورك، فإنّ طاعة الله فاضلة على ما سواها**» الكتاب: ٦٩.

وللطاعة والعبودية مصاديق متعدّدة، وردت الإشارة إلى كثير منها في نهج البلاغة، وفيما يلي نشير إلى أهمها:

أ ـ الإخلاص، فقد كتب عليه السلام إلى بعض عمّاله: «**آمره ألّا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ، ومن لم يختلف سرّه وعلانيته، وفعله ومقالته، فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة**» الكتاب: ٢٦.

وفي عهده عليه السلام للأشتر: «**وليكن في خاصّة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ**» الكتاب: ٥٣.

ب ـ الاستعانة بالله تعالى، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى الهك، فإنّك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز**» الكتاب: ٣١، وفي كتابه إلى محمد بن أبي بكر: «**وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمّك، ويُعنك على ما ينزل بك إن شاء الله**» الكتاب: ٣٤.

ج ـ التحميد والتمجيد لله تعالى، قال عليه السلام: «**أوصيكم أيها**

الناس بتقوى الله، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصّكم بنعمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرّضتم لأخذه فأمهلكم» الخطبة: ١٨٨.

د ـ الخشية والخوف من الله تعالى، قال عليه السلام: «فاحذروا من الله ما حذّركم من نفسه، واخشوه خشية ليست بتعذير» الخطبة: ٢٣، وقال عليه السلام: «عباد الله انّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعدّ القرى ليومه النازل به، فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد...» الخطبة: ٨٦، وقال عليه السلام: «إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله، وأن يحسن ظنّكم به فأجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وانّ أحسن الناس ظنّاً بالله أشدّهم خوفاً» الكتاب: ٢٧.

هـ ـ الصلاة، قال عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصّلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النّار حين سئلوا: ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وإنّها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق وتطلقها إطلاق الرّبق، وشبّهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمّة تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّاتٍ، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن، وقد عرف حقّها رجالٌ من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عنها زينة متاعٍ ولا قرّة عينٍ من ولدٍ ولا مالٍ، يقول الله سبحانه: ﴿رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ

تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصباً بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة، لقول الله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾ فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه» الخطبة: ١٩٩.

وكتب عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «صلّ الصّلاة لوقتها المؤقّت لها، ولا تعجّل وقتها لفراغٍ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغالٍ، واعلم أنّ كلّ شيءٍ من عملك تبعٌ لصلاتك» الكتاب: ٢٧.

و ـ الأعمال الصالحة، قال عليه السلام: «رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، ودعي إلى رشادٍ فدنا... قدّم خالصاً، وعمل صالحاً، اكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً، ورمى غرضاً وأحرز عوضاً، كابر هواه وكذّب مناه، جعل الصّبر مطيّة نجاته، والتّقوى عدّة وفاته، ركب الطّريقة الغرّاء، ولزم المحجّة البيضاء، اغتنم المهل، وبادر الأجل، وتزوّد من العمل» الخطبة: ٧٥.

قال عليه السلام: «فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصّحّة قبل السّقم، وفي الفسحة قبل الضّيق، فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها، أسهروا عيونكم، وأضمروا بطونكم، واستعملوا أقدامكم، وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم، ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً

حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فلم يستنصركم من ذلٍّ، ولم يستقرضكم من قلٍّ، استنصركم وله جنود السّماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، واستقرضكم وله خزائن السّماوات والأرض وهو الغنيّ الحميد، وإنّما أراد أن يبلوكم أيّكم أحسن عملاً، فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره، رافق بهم رسله، وأزارهم ملائكته، وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نارٍ أبداً، وصان أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، أقول ما تسمعون، والله المستعان على نفسي وأنفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل» الخطبة: ١٨٣.

قال عليه السلام في وصف المتقين: «لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون... فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّةً في دينٍ... يعمل الأعمال الصّالحة وهو على وجلٍ» الخطبة: ١٩٣.

قال عليه السلام: «عباد الله الآن فاعملوا، والألسن مطلقةٌ، والأبدان صحيحةٌ، والأعضاء لدنةٌ، والمنقلب فسيحٌ، والمجال عريضٌ، قبل إرهاق الفوت، وحلول الموت» الخطبة: ١٩٦.

قال عليه السلام: «تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرّحيل، وأقلّوا العرجة على الدّنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد، فإنّ أمامكم عقبةً كؤوداً ومنازل مخوفةً مهولةً لا بدّ من الورود عليها والوقوف

عندها. واعلموا أنّ ملاحظ المنيّة نحوكم دانيةٌ، وكأنّكم بمخالبها وقد نشبت فيكم، وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور. فقطّعوا علائق الدّنيا واستظهروا بزاد التّقوى» الخطبة: ٢٠٤.

ز ـ المحاسبة، قال عليه السلام: «عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا، وتنفّسوا قبل ضيق الخناق، وانقادوا قبل عنف السّياق» الخطبة: ٨٩.

قال عليه السلام في وصف الذاكرين: «فرغوا لمحاسبة أنفسهم... فحاسب نفسك لنفسك، فإنّ غيرها من الأنفس لها حسيبٌ غيرك» الخطبة:٢٢١.

قال عليه السلام: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن» قصار الحكم: ١٩٨.

قال عليه السلام: «أيّها النّاس تولّوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها» قصار الحكم: ٣٤٩.

١٠ ـ ترك الذنوب والآثام، وقد بالغ عليه السلام أيضاً في ذلك، إذ يعدّ المكمّل للطاعة والعبودية، قال عليه السلام: «ألا وانّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، وخلعت لجمها فتقحّمت بهم في النار» الخطبة: ١٦ وقال عليه السلام: «احذروا الذنوب الموّرطة، والعيوب المسخطة» الخطبة: ٨٢، وقال عليه السلام في ذكر يوم القيامة: «وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دارٍ، وغلّ الأيدي إلى

الأعناق، وقرن النّواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران، ومقطّعات النّيران، في عذابٍ قد اشتدّ حرّه، وبابٍ قد أطبق على أهله في نارٍ لها كلبٌ ولجبٌ ولهبٌ ساطعٌ، وقصيفٌ هائلٌ، لا يظعن مقيمها، ولا يفادى أسيرها، ولا تفصم كبولها، لا مدّة للدّار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى» الخطبة: ١٠٨.

قال عليه السلام: «اتّقوا معاصي الله في الخلوات، فإنّ الشّاهد هو الحاكم» قصار الحكم: ٣١٥.

قال عليه السلام: «احذر أن يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقو على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله» قصار الحكم: ٣٧٣.

ومن الذنوب والمعاصي التي حذّر منها عليه السلام:

أ ـ الشرك، قال عليه السلام: «أمّا وصيّتي فالله لا تشركوا به شيئاً...» الخطبة: ١٤٩، الكتاب: ٢٣.

قال عليه السلام: «إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم الّتي عليها يثيب ويعاقب، ولها يرضى ويسخط، أنّه لا ينفع عبداً وإن أجهد نفسه وأخلص فعله، أن يخرج من الدّنيا لاقياً ربّه بخصلةٍ من هذه الخصال لم يتب منها: أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته...» الخطبة: ١٥٣.

قال عليه السلام: «واعملوا في غير رياءٍ ولا سمعةٍ، فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له» الخطبة: ٧٦.

ب ـ أكل الحرام، قال عليه السلام: «**ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصية، وسهل لكم سبل الطاعة**» الخطبة: ١٥١.

وفي وصيته عليه السلام لعثمان بن حنيف: «**فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه**» الكتاب: ٤٥.

ج ـ الكبر، قال عليه السلام «**ضع فخرك، واحطط كبرك**» الخطبة: ١٥٣، وقال عليه السلام: «**واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدّهر، فلو رخّص الله في الكبر لأحدٍ من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه وأوليائه، ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التّكابر ورضي لهم التّواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفّروا في التّراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين**» الخطبة: ١٩٢.

د ـ الحسد، قال عليه السلام: «**ولا تحاسدوا، فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**» الخطبة: ٨٥.

هـ ـ الطمع، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**وإيّاك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة**» الكتاب: ٣١.

وقال عليه السلام: «**أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع**» قصار الحكم: ٢٠٩.

و ـ الظلم، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم... وظلم الضعيف أفحش الظلم**» الكتاب: ٣١.

وفي عهده عليه السلام للأشتر: «**أنصف الله وأنصف النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوًى من رعيّتك، فإنّك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، و كان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب، وليس شيءٌ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلمٍ، فإنّ الله سميعٌ دعوة المظلومين وهو للظّالمين بالمرصاد**» الكتاب: ٥٣.

ز ـ العجب، وفي وصيته للإمام الحسن عليهما السلام: «**واعلم انّ الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب**» الكتاب: ٣١.

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: «**وإيّاك والإعجاب بنفسك، والثّقة بما يعجبك منها، وحبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين**» الكتاب: ٥٣.

ح ـ الغضب، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**وتجرّع الغيظ فإنّي لم أر جرعة أحلى منها عاقبة، ولا ألذّ مغبّة**» الكتاب: ٣١، وفي كتابه إلى الحارث الهمداني: «**واكظم الغيظ، وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب**» الكتاب: ٦٩.

ومن وصيته عليه السلام لابن عباس: «**وإياك والغضب، فإنّه طيرة من الشيطان**» الكتاب: ٧٦.

ط ـ اتباع الهوى، قال عليه السلام: «**أيّها النّاس إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتّباع الهوى وطول الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة**» الخطبة: ٤٢.

قال عليه السلام: «**عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا لأهوائكم**» الخطبة: ١٠٤.

قال عليه السلام: «**فرحم الله امرأً نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه، فإنّ هذه النّفس أبعد شيءٍ منزعاً، وإنّها لا تزال تنزع إلى معصيةٍ في هوًى**» الخطبة: ١٧٦.

ومن كلام له عليه السلام مع هانئ بن شريح: «**واعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ ممّا تحبّ مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثيرٍ من الضّرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً**» الكتاب: ٥٦.

٣ـ المواعظ السياسية:

تتبلور مواعظ أميرالمؤمنين عليه السلام السياسية في كتبه ورسائله إلى أمرائه وجنوده، سيّما عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر حيث يحتوي على كثير من المواعظ والنصائح السياسية، وكان اهتمامه عليه السلام بهذا الجانب كثيراً لما حلّ بالأمة الإسلامية آنذاك من هنات نتيجة سوء فعل المتقدمين.

ومن أهمّ ما أكّد عليه أميرالمؤمنين عليه السلام في مواعظه ونصائحه السياسية لأمرائه وقادته ما يلي:

أ ـ العدل في السيرة، فقد كتب عليه السلام إلى عماله على الخراج: «**فأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنّكم خزّان الرعيّة، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمّة، ولا تحسموا[1] أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته**» الكتاب: ٥١.

وكتب عليه السلام لمالك الأشتر: «**وأشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة، والمحبّة لهم، واللّطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزّلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، و والي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاّك، وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم**» الكتاب: ٥٣.

وكتب عليه السلام إلى بعض أمرائه: «**أما بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنّه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله**» الكتاب: ٥٩.

---

(١) لا تحسموا: أي لا تقطعوا.

ب ـ **المواساة**، فقد كتب عليه السلام لمحمد بن أبي بكر لما ولاه مصر: «**فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم**» الكتاب: ٢٧.

كما كتب عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، لحضوره مأدبة قوم حضر فيها الأغنياء، وأشار إليه بأنّ الحاكم لابدّ وأن يواسي الناس بقوله: «**أأقنع من نفسي بأن يقال أميرالمؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش**» الكتاب: ٤٥.

ج ـ **الاعتماد على أهل الطاعة**، حيث كتب عليه السلام إلى بعض عماله: «**واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنّ المتكاره مغيبه خير من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه**» الكتاب: ٤.

د ـ **الاهتمام بالطبقة السفلى**، فقد كتب عليه السلام لمالك الأشتر: «**ثمّ الله الله في الطّبقة السّفلى من الّذين لا حيلة لـهم، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطّبقة قانعاً ومعترّاً، واحفظ لـلّه ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلّات صوافي الإسلام في كلّ بلدٍ، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى، وكلٌّ قد استرعيت حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطرٌ، فإنّك لا تعذر بتضييع التّافه لإحكامك الكثير الـمهمّ.**

فلاتشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لـهم، وتفقّد أمور من لايصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون[1]، وتحقره الرّجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله تعالى يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلٌّ فأعذر إلى الله تعالى في تأدية حقّه إليه.

وتعهّد أهل اليتم وذوي الرّقّة في السّنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيلٌ، والـحقّ كلّه ثقيلٌ، وقد يخفّفه الله على أقوامٍ طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لـهم» الكتاب: ٥٣.

هـ ـ الستر على عيوب الناس، ففي عهده عليه السلام للأشتر: «وليكن أبعد رعيّتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لـمعائب النّاس، فإنّ في النّاس عيوباً، الوالي أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيّتك. أطلق عن النّاس عقدة كلّ حقدٍ، واقطع عنك سبب كلّ وترٍ، وتغاب عن كلّ ما لا يضح لك[2]، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ، فإنّ السّاعي غاشٌّ، وإن

---

(١) تقتحمه العيون: أي تزدريه النفوس فلا تقع عليه الأبصار.

(٢) يضح: يظهر.

تشبّه بالنّاصحين» الكتاب: ٥٣.

و ـ الوفاء بالعهد، ففي عهده عليه السلام للأشتر: «وإن عقدت بينك وبين عدوٍّ لك عقدةً، أو ألبسته منك ذمّةً، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جنّةً دون ما أعطيت، فإنّه ليس من فرائض الله عزّوجلّ شيءٌ النّاس أشدّ عليه اجتماعاً، مع تفريق أهوائهم، وتشتيت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمّتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوّك، فإنّه لا يجترىء على الله إلّا جاهلٌ شقيٌّ.

وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، يستفيضون إلى جواره، فلا إدغال، ولا مدالسة، ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعوّلنّ على لحن القول بعد التّأكيد والتّوثقة، ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحقّ، فإنّ صبرك على ضيقٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خيرٌ من غدرٍ تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبةٌ، لاتستقيل فيها دنياك ولا آخرتك» الكتاب: ٥٣.

ز ـ الاهتمام بدماء الناس وأعراضهم، ففي عهده عليه السلام للأشتر: «إيّاك والدّماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيءٌ أدعى لنقمةٍ، ولا أعظم لتبعةٍ، ولا أحرى بزوال نعمةٍ، وانقطاع مدّةٍ، من سفك الدّماء

بغير حقّها، والله سبحانه مبتدىءٌ بالـحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدّماء يوم القيامة، فلا تقوّينّ سلطانك بسفك دمٍ حرامٍ، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطإٍ وأفرط عليك سوطك [أو سيفك] أو يدك بعقوبةٍ، فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلةً، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء الـمقتول حقّهم» الكتاب: ٥٣.

د ـ العمل بالشدّة واللين، فقد كتب عليه السلام إلى بعض عماله: «واخلط الشدّة بضغثٍ من اللين، وأرفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلّا الشدّة» الكتاب: ٤٦.

ط ـ قضاء حوائج الناس، ففي عهد الأشتر: «واجعل لذوي الـحاجات منك قسماً تفرّغ لـهم فيه شخصك، وتجلس لـهم مجلساً عامّاً، فتتواضع فيه لـلّه الّذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتّى يكلّمك متكلّمهم غير متعتعٍ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطنٍ: «لن تقدّس أمّةٌ لا يؤخذ للضّعيف فيها حقّه من القويّ غير متعتعٍ».

ثمّ احتمل الـخرق منهم والعيّ، ونحّ عنك الضّيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمالٍ وإعذارٍ. ثمّ أمورٌ من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمّالك بما يعيا عنه كتّابك، ومنها إصدار

حاجات النّاس عند ورودها عليك ممّا تحرج به صدور أعوانك» الكتاب: ٥٣.

ي ـ تفقّد أحوال الولاة ومعاقبتهم عند الخيانة، ففي عهد الأشتر: «وتحفّظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانةٍ اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبته بمقام المذلّة، و وسمته بالخيانة، وقلّدته عار التّهمة» الكتاب: ٥٣.

٤ـ المواعظ الاجتماعية:

انّ المواعظ الاجتماعية التي تطرق إليها أميرالمؤمنين عليه السلام، تدور حول إصلاح الوضع الاجتماعي الذي لابدّ أن ينهض به أبناء الشعب أنفسهم، وهي كما يلي:

أ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال عليه السلام:

قال عليه السلام: «**وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنّما أمرتم بالنّهي بعد التّناهي**» الخطبة: ١٠٤.

قال عليه السلام: «**فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلعن الله السّفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التّناهي**» الخطبة: ١٩٢.

وفي وصيته عليه السلام: «**لا تتركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم**» الكتاب: ٤٧.

قال عليه السلام: «**أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسّيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظّالمين هي السّفلى، فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطّريق، ونوّر في قلبه اليقين**» قصار الحكم: ٣٦٣.

قال عليه السلام: «**فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتّارك بيده، فذلك متمسّكٌ بخصلتين من خصال الخير ومضيّعٌ خصلةً، ومنهم المنكر بقلبه والتّارك بيده ولسانه، فذلك الّذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثّلاث وتمسّك بواحدةٍ، ومنهم تاركٌ لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّت الأحياء، وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلا كنفثةٍ في بحرٍ لجّيٍّ، وإنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يقرّبان من أجلٍ، ولا ينقصان من رزقٍ، وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائرٍ**» قصار الحكم: ٣٦٤.

ب ـ لزوم الجماعة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وألزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإنّ الشاذ من الناس للشيطان، كما انّ الشاذة من الغنم للذئب**» الخطبة: ١٢٧.

وقال عليه السلام: «**فإياكم والتلوّن في دين الله، فانّ جماعة فيما تكرهون من الحق، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وانّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى، ولا ممن بقي**» الخطبة: ١٧٦.

وقال عليه السلام بعد ما ذكر الأمم السالفة: «**فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم، فألزموا كل أمر لزمت العزّة به حالهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية فيه بهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألُفة، والتحاضّ عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن منّتهم: من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي**» الخطبة: ١٩٢.

ولا يفوت على القارئ الكريم بانّ الواجب هو لزوم الجماعة الصالحة، كما نبهنا عليه وكما ورد في كلام الإمام عليه السلام، وإلّا فلا طاعة للأشرار ولا لزوم لجماعتهم، كما قال عليه السلام منبّهاً لذلك: «**ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحتكم مرضهم، وأدخلتم في حقكم باطلهم، وهم أساس الفسوق، وأحلاس العقوق، اتخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً بهم يصول على الناس، وتراجمة ينطق على ألسنتهم**» وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سئل: **أيّ الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند إمام جائر**» الخطبة: ١٩٢.

إذن الوصية بلزوم الجماعة لا تؤخذ على نحو الإطلاق.

ج ـ لزوم العشيرة، قال عليه السلام: « **انّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألـمّهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به**» الخطبة: ٢٣.

وكتب عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**وأكرم عشيرتك، فإنّهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول**» الكتاب: ٣١.

وهذا ما التزم به أمير المؤمنين عليه السلام في سلوكه، فقد كتب إلى ابن عباس لما كان واليه على البصرة وسمع منه غلظة على بني تميم: «**انّ لهم بنا رحماً ماسة، وقرابة خاصة، نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها**» الكتاب: ١٨.

طبعاً لزوم العشيرة لا يؤخذ أيضاً على اطلاقه، بل انّه مقيّد بالعشيرة الصالحة، وإلّا فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فانّهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية**» الخطبة: ١٩٢.

فالتقوى هنا تقتضي محاربة هكذا عشيرة، كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام حال المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**فلقد كنّا مع رسول**

الله ﷺ وانّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلّا إيماناً ومضيّاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح» الخطبة: ١٢١.

وقال عليه السلام: «ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدو» الخطبة: ٥٥.

د ـ **التواصل**، قال عليه السلام: «**عليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع**» الكتاب: ٤٧، وهذا التواصل ومساعدة الآخرين ومعونتهم يوجب سعادة الإنسان في الدارين، فقد قال عليه السلام في شرح أفضل ما يتوسل الإنسان به إلى ربه: «**وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان**» الخطبة: ١٠٩.

وقال عليه السلام: «**من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، التنفيس عن المكروب**» قصار الحكم: ٢٠.

وفي وصيته للحسنين عليهما السلام: «**أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي: بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدكم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**» الكتاب: ٤٧.

هـ ـ **ضوابط الصداقة، وكيفية اتخاذ الصديق**، وهي ظاهرة اجتماعية مهمّة، قال أميرالمؤمنين في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**يا بني**

إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة البخيل فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب» قصار الحكم: ٣٤.

وقال عليه السلام: «لا تصحب المائق فإنّه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله» قصار الحكم: ٢٨٤، والمائق هو الأحمق.

وقال عليه السلام: «احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللين، وعند جرمه على العذر،... وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً» الكتاب: ٣١.

و ـ التحذير من الفتن، قال عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب» قصار الحكم: ١.

وقال عليه السلام: «وتثبّتوا في قتام العشوة، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفيّةٍ، وتئول إلى فظاعةٍ جليّةٍ، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السّلام، يتوارثها الظّلمة بالعهود، أوّلهم قائدٌ لآخرهم، وآخرهم مقتدٍ بأوّلهم، يتنافسون في دنيا دنيّةٍ، ويتكالبون على جيفةٍ مريحةٍ، وعن قليلٍ يتبرّأ التّابع من المتبوع والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون

عند اللّقاء، ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف، والقاصمة الزّحوف، فتزيغ قلوبٌ بعد استقامةٍ، وتضلّ رجالٌ بعد سلامةٍ، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحِكمة، وتنطق فيها الظّلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحلها، وترضّهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدّماء، وتثلم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين، يهرب منها الأكياس ويدبّرها الأرجاس، مرعادٌ مبراقٌ، كاشفةٌ عن ساقٍ، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بريئها سقيمٌ وظاعنها مقيمٌ...» الخطبة: ١٥١.

وقال عليه السلام في توضيح كيفية شروع الفتن: «إنّما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تتّبع وأحكامٌ تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ فيمزجان، فهنالك يستولي الشّيطان على أوليائه، وينجو الّذين سبقت لهم من الله الحسنى» الخطبة: ٥٠.

***

إلى هنا انتهينا من هذا البحث، حيث ذكرنا أهمّ ما ورد على لسان أميرالمؤمنين عليه السلام في الموعظة، وكما هو مثبت في كتاب نهج البلاغة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

***

محتويات الكتاب

تمهيد ٥

أهمية الموعظة ٧

ثمرة الموعظة ٩

شرائط الواعظ ١١

أسباب قبول الموعظة ١٤

موانع قبول الموعظة ١٦

نتيجة ترك الموعظة ١٩

أنماط الموعظة ٢٠

١ـ المواعظ العقائدية ٢٠

٢ـ المواعظ الأخلاقية ٢٣

الاسلام ٢٤

القرآن الكريم ٢٤

الدنيا ٢٥

الموت ٣٦

القبر ٤٥

القيامة ٥٢

الاتعاظ بالآخرين أو الاعتبار منهم ٥٩

التقوى ٦٠

الطاعة والعبودية ٦٤

ترك الذنوب والآثام ٦٩

المواعظ السياسية **٧٣**
العدل في السيرة ٧٤
المواساة ٧٥
الاعتماد على أهل الطاعة ٧٥
الاهتمام بالطبقة السفلى ٧٥
الستر على عيوب الناس ٧٦
الوفاء بالعهد ٧٧
الاهتمام بدماء الناس وأعراضهم ٧٧
العمل بالشدّة واللين ٧٨
قضاء حوائج الناس ٧٨
تفقّد أحوال الولاة ومعاقبتهم عند الخيانة ٧٩
المواعظ الاجتماعية **٧٩**
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٩
لزوم الجماعة ٨٠
لزوم العشيرة ٨٢
التواصل ٨٣
ضوابط الصداقة ٨٣
التحذير من الفتن ٨٤
محتويات الكتاب ٨٧

❊❊❊

انّ القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة يشكلان هوية الإنسان المسلم . و هما مصداق كلام النبي (ص) في التمسك بالثقلين . فالقرآن هو الثقل الأول. ونهج البلاغة هو التجسد الأتم للثقل الثاني أعني العترة. ولو تدبرنا في هذا الكتاب ـ بعد تدبرنا في القرآن الكريم ـ حق التدبّر . لرأينا انّه يحتوي على خير الدنيا والآخرة . وجدير به أن يكون منهاجاً لحياة البشرية. وطريقاً نحو السعادة الأبدية.

إنّ سلسلة (في رحاب نهج البلاغة) التي تصدرها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف . محاولة متواضعة لإظهار هذه الحقيقة . حيث تهدف إلى وضع دراسات مختصرة عن هذا السفر القيم. تتناول شرح خطبة أو كتاب أو حكمة وردت في هذا الكتاب. أو دراسة موضوع معيّن. أو دفع شبهة مثارة . كلّ ذلك لتعميم الفائدة . وتسهيل الوصول إلى لآلئ هذا السفر القيم...

(الموعظة في نهج البلاغة)

يسلط الضوء على أهمية الموعظة في بناء الإنسان وبناء المجتمع . ثم يذكر أنماط الموعظة المستخدمة في نهج البلاغة...

موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

موقع مكتبة الروضة الحيدرية : www.haydarya.com

رقم الاصدار (٨٦)